Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا يودُّ أنْ يصير محلَّ سردٍ إلاّ عندما يتحول إلى جثّةٍ هامدة. وقد يعلّل تحريمه للسّرد بكونه يخشى من افتضاح أمره ومن مضايقات قد تصل إلى حدّ القتل.[11]

إذا كانت علاقة الولي بالكلام تشذ عن المألوف فإنّ علاقته بالكتابة تثير أيضاً كثيراً من الاستغراب والحيرة. فهذا رجلٌ «كان أقطع اليدين من الكفين [...] وكان مع ذلك يكتب في خلوة ولا يُدْرَى كيف يكتب».[12] وهذا آخر يقول : «إذا أشكل علي معنى في شيء أنظر في أيِّ جهةٍ كانت من جهات البيت فأجده مسطوراً».[13] وقد تكون الكتب هي الصّلة الوحيدة التي تجمع الولي بالنّاس وتحول بينه وبين التّوحّش المطلق. وفي هذا السّياق تجدر الإشارة إلى ولي «لم يكن له مأوى يأوي إليه» ولم يكن يحب الحديث مع النّاس لأنّه «كانت عنده مخلاة فيها كتب يعلّقها في عنقه. فإذا خَلاَ بنفسه يخرج منها كتاباً يقرأه».[14] محبّة الكتب، المخلاة، التصاق الكتب بالجسد : كلّها صفاتٌ تقرب هذا الولي من صاحبنا أبي سهل القرشي.

من أين جاء أبو سهل ؟ من المشرق. هذا العنصر على ما يبدو هو كل ما نعرفه عن أصله ومكان نشأته، إلاّ أنّ هناك عنصراً آخر يوحي بوروده من مكّة، أو على الأقل يشير إلى كونه ينحدر من أمّ القُرى. هذا العنصر هو الإسم : القرشي. فأبو سهل من القبيلة التي ينتمي إليها الرّسول، أي أنّه من القوم الذين نبع فيهم الوحي وأشرق عليهم النّور الإلهي.

11) قال أحدهم متحدّثاً عن بعض المريدين : «لو تكلّموا بما استفادوا من مواهب الله تعالى لأفتى هؤلاء الفقهاء برجمهم». (ابن الزيات، ص. 293).

12) ابن الزيات، ص. 227.

13) ابن الزيات، ص. 229. وولي آخر «حدثوا أنّ مؤذّن مسجده طلبه ذات يوم بداره فلم يجده. فذهب في طلبه إلى البحر فوجده نائماً على لجج البحر وفي حجره كتاب تعبث الرّياح بأوراقه ولا يصل إليه من رشاش الموج شيء. فأراد المؤذّن أن يصل إليه وشرع في دخول البحر ظانّاً أنّ العبور إليه سهل فغلبه الماء وخاف على نفسه من الغرق. فخرج وقعد على شاطئ البحر ينتظره. فلمّا أفاق أبو عثمان من نومه خرج من البحر. فلمّا علم أنّ المؤذن قد رآه قال له : يا فلان، عاهدني أن لا تحدّث أحداً بما رأيت حتّى أموت». (ابن الزّيات، ص. 116).

14) ابن الزيات، ص. 259.